

## الإسلام والغرب - بين حتمية الصراع وإمكانية الحوار-

الدكتور محمد بوبوش<sup>(1)</sup>

### خلاصة:

لا تزال مقولة (صدام الحضارات) المزعومة تلقي بظلالها القاتمة على علاقة العرب والمسلمين بالغرب المسيحي على أساس التحدي العربي الإسلامي المفترض للغرب، في وقت قدم أكاديميون في كل من الغرب والشرق تصريحات وآراء متناقضة دارت كلها حول (صراع الحضارات)، و(حوار الحضارات) وأضحت هذه المسألة محل اهتمام دولي، وقضية يركّز عليها كثير من رجال الفكر والسياسة في أوروبا وأمريكا، فضلاً عن بعض المسؤولين السياسيين، بينما يعيش العالم اليوم متغيرات كثيرة، أنتجت تحديات عديدة، وصراعات ضارية؛ امتدت إلى جميع مناحي الحياة: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الفكرية والثقافية، دون أن يصل أحد إلى تفسير موضوعي حاسم لحقيقة ما يجري، هل هو (صدام أم صراع حضاري)؟

إنّ ما يحاول بعض الغربيين إشاعته عن الخوف من الإسلام، واعتباره الخطر القادم، (الخطر الأخضر) كما سمّاه بعضهم، وترشيحه ليكون العدو البديل بعد سقوط

(1) باحث في العلاقات الدولية، من المغرب.

الاتحاد السوفيتي ما هي إلا محاولات لإبقاء الحضارة الغربية والغربيين محبوسين في إطار دائرة الحقد القديمة الموروثة من الحروب الصليبية.

ولا شك أنّ تراكمات أحداث 11 سبتمبر 2001م ألقّت ظللاً كثيفة على العلاقة بين الغرب والإسلام، بحيث ساهمت بوضع الإسلام في خانة العدو الأول للغرب؛ باعتباره تهديداً مباشراً للقيم والمبادئ التي يؤمن بها الغرب ويسعى لنشرها.

ولا شك أنّ الخيار البديل للصراع يبقى هو الحوار؛ باعتباره فريضة شرعية وضرورة بشرية حتمية، وظاهرة كونية، وجزءاً أساساً من دينامية التحول وواقع التنوع والتفاعل داخل المجتمعات الإنسانية، ووسيلة ناجعة لالتقاء الحضارات وتكاملها.

## مصطلحات مفتاحية:

الإسلام، الغرب، صراع، الحضارات، الخطر، العدو، التنصير، الأديان، الثقافات، الحوار.

## مقدمة:

اكتسب مجال العلاقة بين الحضارات (حوار/ صراع) زخماً كبيراً منذ نهاية الحرب الباردة، مع طرح هنتجتون الشهير<sup>(1)</sup>، ثمّ وصل هذا الزخم إلى ذروته منذ 11 سبتمبر بصفة خاصة وما تلاه من تداعيات،

(1) ولد صامويل هنتجتون في 18 أبريل 1927م، وتوفي في 27 ديسمبر 2008م؛ وهو أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثمّ أطروحته بأنّ اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيكوّنون الحضارات وليس الدول القومية، كما استحوذ على الانتباه لتحليله المخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. درس في جامعة يال، وهو أستاذ بجامعة هارفارد. في 1993م، أشعل هنتجتون نقاشاً مستعراً عبر العالم في العلاقات الدولية بنشره في مجلة فورين أفيرز (العلاقات الخارجية) مقالاً شديد الأهمية والتأثير بعنوان «صراع الحضارات؟»، المقالة التي تناقضت مع نظرية سياسية أخرى متعلقة بديناميكية السياسة الجغرافية بعد الحرب الباردة لصاحبها فرانسيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ». قام هنتجتون بتوسيع مقالته إلى كتاب، صدر في 1996م للناشر سايمون وشوستر، بعنوان «صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي». المقالة والكتاب عرضا وجهة نظره في أنّ صراعات ما بعد الحرب الباردة ستحدث أكثر وأغنف ما يكون على أسس ثقافية حضارية غالباً؛ مثل: الحضارة الغربية، الإسلامية، الصينية، الهندوسية، ... بدلا من الأسس العقديّة؛ كما كان الحال خلال الحرب الباردة ومعظم القرن العشرين.

مبرزاً ما أضحى عليه وزن الأبعاد الدينية/ الثقافية الحضارية، والأبعاد  
القيمية في تحليل العلاقات الدولية<sup>(1)</sup>.

ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب، على رأسها انتهاء الصراع  
الإيديولوجي، وصعود دور الأديان، وتهاوي الحدود بين الداخل والخارج؛  
نتيجة لثورة المعلومات والاتصالات<sup>(2)</sup>.

وقد بات واضحاً أنّ حوار الحضارات وصراع الحضارات (أو الثقافات  
أو الأديان)<sup>(3)</sup> وجهان لعملة واحدة، ووصل الاهتمام بالمفهومين إلى  
خلق ما يمكن وصفه بالحالة، وأضحى التوقف عند هذه الحالة ضرورة  
أكاديمية وفكرية وعملية في آن واحد، وتشبه تلك الحالة الضرورة التي  
أحاطت بمصطلحين سابقين ذائعي الصيت: النظام العالمي الجديد  
والعولمة.

والسؤال المطروح هو: ما دلالات هذا الموضوع؟ وهل هو حوار أم صراع  
للحضارات، بالنسبة إلى العالم الإسلامي، في ظلّ الوضع الراهن للأمم  
الإسلامية في النظام الدولي بتحوّلاته المتعدّدة؟ ومن ثمّ هل يجب أن

(1) في البعد القيمي في العلاقات الدولية من جوانب عدّة، انظر:

Charles R.Beitz, Recent International Thought.International Journal, SPring, 1998

انظر أيضاً:

- عبد الفتّاح، سيف الدين: مدخل القيم، إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، القاهرة،  
المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996، ج2.

(2) Heba R. Ezaat : Co-Citizenship : Bringing Religion Back, PaPer Presented to the International  
Consultations on Christien and Musulman in Dialogue and Beyond, Convened by World Church  
Coucil, Geneva, October 2002.

(3) مثلاً حوار الحضارات، أو حوار الشمال والجنوب، أو الحوار العربي الأوروبي، أو الحوار الإسلامي  
المسيحي، أو حوار الشرق والغرب، حوار الثقافات أو الأديان...كلّها مصطلحات وعناوين لموضوع  
واحد هو الحوار بين الأديان والحضارات المختلفة، التي تمتد ثقافات متفاوتة في نظرتها إلى الكون  
والوجود، وهو موضوع جدير بالاهتمام والدراسة والمتابعة عسى أن ينتقل الأمر فيه من مرحلة الفهم  
والاقتناع إلى مرحلة التعاون على العمل المشترك بين جميع المعنّيين باقتلاع جذور الأحقاد بين  
الشعوب.

ويقصد به من الناحية النظرية الحوار مع الطرف (الأخر) للتعرف على ما يهدف إليه من حيث طبيعة  
علاقته بالآخرين ورسم مستقبل أفضل لجميع شعوب العالم ضمن دائرة التفاهم المشترك، وعدم  
التجاوز على الخصوصية الدينية والأخلاقية بما يطلق عليه في عالم اليوم المحافظة على الهوية  
الثقافية للأمم.

نتمسك في الدائرة العربية الإسلامية بصيغة الحوار أم الصراع الجاري تداولهما؟ وحيث تختلف الاتجاهات الإسلامية وغيرها في هذا الأمر؛ فإنّ هذه المقالة بعد أن تلقي الضوء على تشخيصها لأبعاد الموضوع باعتباره قضية أساسية من قضايا العلاقات الدولية الراهنة، ستحاول أن تقدّم رؤية تبنتي على نتائج خبرات بحثية وعملية عدّة سابقة، وهي الرؤية التي تتمحور حول نقد ذلك الترحيب الشائع بوصف العلاقات الراهنة بين الحضارات بأنّها «حوار» أو أنّها يجب أن تتجه إلى حوار من ناحية، ورفض تشخيص هذه الحالة بأنّها أسيرة الصراع الدائم والحتمي من ناحية أخرى.

### أولاً: طبيعة العلاقة بين الحضارات.. حوار أم صراع؟

هل طبيعة الاختلاف بين الحضارات هي التي تفرض الحوار أم الصراع؟ أم أنّ الظروف الدولية هي التي حدّدت بروز أحدهما على الآخر في مرحلة من مراحل تطوّر التاريخ العالمي؟  
ويذكرنا هذا السؤال الأخير بالسؤال المعتاد الذي يتمّ طرحه بصدد الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية، هل أصل العلاقة في الإسلام هي الحرب أم السلم؟<sup>(1)</sup>

#### 1. الغرب وصراع الحضارات:

(الإسلام والغرب)، (الشرق والغرب)، (الإسلام والمسيحية) عبارات تشير في طياتها إلى علاقة معقّدة، متشابكة، عميقة الجذور في أرض التاريخ، علاقة فيها الخيرُ والشّرُّ، والحقُّ والباطل، والعدل والظلم، والنور والظلمة، والحوار والصراع، وما إلى ذلك من الأضداد<sup>(2)</sup>.

(1) انظر: بوبوش، محمّد: العلاقات الدولية في الإسلام، ط1، دمشق، دار الفكر: البرامكة، 2009م.

(2) انظر: بكور، بشار: كتاب «الإسلام والغرب بين أساطير الصدام وحقائق الانسجام»، موقع الفاتح،

## أ. محاولة لتأصيل فكرة صراع الحضارات:

أشار المؤرخ الفرنسي «بروديل»<sup>(1)</sup> في كتابه الشهير «المتوسط والعالم»، إلى أنماط من الحضارات الحيّة أو الكامنة في حوض المتوسط في فصل بعنوان لافت: «الحضارات فردوس البشر وجحيمهم»، ويقول بروديل: «يحتوي المتوسط على ثلاث حضارات هائلة وثلاث مجموعات ثقافية وثلاثة أنماط أساسية في الاعتقاد والتفكير والعيش والأخلاق والمأكل (...). متجسدة في ثلاث شخصيات لا نهاية لأقذارها، وكانت دائماً قائمة من قرون وقرون متجاوزة حدودها وحدود الدول التي لا تشكّل إلا لباساً لها (...). الحضارة الأولى هي الحضارة الغربية، وعلى الأصح اللاتينية أو الرومانية (...). والحضارة الثانية هي الحضارة العربية-الإسلامية، والغرب والإسلام يجمعهما تعارض عميق يقوم على التنافس والعداء والاقْتِباس، إنهما عدوّان متكاملان، الأوّل ابتكر الصليبية وعاشها، والثاني ابتكر الجهاد وعاشه»<sup>(2)</sup>.

وفي عام 1947 ألقى أرنولد توينبي<sup>(3)</sup> محاضرة بعنوان «الصراع بين الحضارات»، وقد أعيد نشرها في مجلة هاربر لعدد إبريل 1947، ثمّ تضمينها في كتابه CIVILIZATION ON TRIAL (الحضارة في الميزان)، ويمكن اعتبار هذه المحاضرة نصّاً ثميناً مرجعياً في الوقت الحالي<sup>(4)</sup>.

ويُعدّ توينبي أحدث وأهمّ مؤرّخ بحث في مسألة الحضارات بشكل مُفصّل وشامل، ولاسيّما في موسوعته التاريخية المعنونة «دراسة

(1) بروديل، فرناند (24 أغسطس 1902 - 27 نوفمبر 1985م) مؤرّخ فرنسي وزعيم من زعماء مدرسة أنال في التاريخ، ركّزت دراساته على ثلاثة مشاريع رئيسية، تمثل كل منها عدّة عقود من الدراسة المكثفة: البحر الأبيض المتوسط (1923-1949) ومن ثمّ 1949-1966م)، والحضارة والرأسمالية (1955-1979م)، والهوية الفرنسية غير المكتملة (1970-1985م).

(2) دحمان، غازي: «صراع الحضارات في سجله وتجلياته»، موقع إسلام ويب، 2003/03/15م:

www.articles.islamweb.net

(3) وُلِدَ أرنولد توينبي في لندن، في عام 1889م، ودرّس اليونانية واللاتينية في أكسفورد، وتقلّب في عدّة مناصب، منها: أستاذ الدراسات اليونانية والبيزنطية في جامعة لندن، ومدير دائرة الدراسات في وزارة الخارجية البريطانية؛ وتوفّي في عام 1975م.

(4) انظر: دحمان، «صراع الحضارات في سجله وتجلياته»، م.س.

للتاريخ» والتي تتألف من اثني عشر مجلداً أنفق في تأليفها واحداً وأربعين عاماً. وهو يرى، خلافاً لمعظم المؤرخين الذين يعتبرون الأمم أو الدول القوميّة مجالاً لدراسة التاريخ، أنّ المجتمعات (أو الحضارات) الأكثر اتساعاً زماناً ومكاناً هي المجالات المعقولة لدراسة التاريخيّة. وهو يفرّق بين المجتمعات البدائيّة والحضاريّة؛ وهذه الأخيرة أقلّ عدداً من الأولى، فهي تبلغ واحداً وعشرين مجتمعاً اندثر معظمها، ولم يبق غير سبع حضارات تمرّست منها بدور الانحلال، وهي: الحضارة الأرتوذكسيّة المسيحيّة البيزنطيّة، والأرتوذكسيّة الروسيّة، والإسلاميّة، والهندوكيّة، والصينيّة، والكوريّة-اليابانيّة؛ أمّا السابعة، أي الحضارة الغربيّة، فلا يُعرف مصيرها حتى الآن<sup>(1)</sup>.

ب. الغرب وعقدة البحث عن عدوّ:

يتمّ التعامل مع كلمة «الغرب» على أنّها كلمة ذات حدود واضحة وبسيطة، والذي يبدو أنّ تلك البساطة المتوهّمة تساهم في مزيد من تعقيد الفهم والتفاهم، ورسم العلاقة مع هذا «الغرب»، وفي تلقي منجزاته أيضاً، بخاصّة الفكريّة والأيدولوجيّة التي لها سياقها الخاصّ في «الغرب»، وتحكمها حساسيّات تكتنفها أيديولوجيّات ومصالح وظروف إنتاج لهذا المعنى أو ذاك في ظلّ تعدديّة «الغرب» الذي نتصوّره واحداً بسيطاً<sup>(2)</sup>.

إنّ كلّ القواميس الغربيّة المتخصّصة في «الحضارة» و«الثقافة» تجمع على تعريف الغرب بأنّه «تلك التوليفة التاريخيّة للتقاليد (اليونانيّة-الرومانيّة-اليهوديّة-المسيحيّة)»<sup>(3)</sup>.

ومع بداية تفكّك المنظومة الشريقيّة وعشيّة انهيار الاتّحاد السوفياتيّ

(1) انظر: خوري، منّح: «التاريخ الحضاريّ عند توينبي»، بيروت، دار العلم للملايين، 1960م.

(2) انظر: الخطيب، معتز: «الغرب.. ميلاد المفهوم ونهايته»، موقع الجزيرة نت، الأحد 2004/10/03م:

www.aljazeera.net

(3) العلوي، م. الطيب بيتي: «نحن.. والغرب (2): مدخل إلى معرفة الغرب»، 31 أيار/مايو 2008م:

www.odabasham.net

همس جورجى أباتوف، مستشار الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشوف، في أذن مسؤول أميركي بالعبارة التالية: «إننا نصيبكم بخطب جلل، فنحن نجرّدكم من العدو».

ولم يكن أباتوف مخطئاً «فقد أيده لاحقاً صموئيل هنتغتون في مقاله «تآكل المصالح الأميركية» التي تضمّنت جملة اعترافات من أهمّها الاعتراف بفقدان التوجّه الأميركي المصلحي في غياب العدو»<sup>(1)</sup>.

أمّا إدوارد جيريجيان؛ مساعد وزير الخارجية الأميركي السابق لشؤون الشرق الأدنى، فقد قال بوضوح إنّ: «الولايات المتحدة بوصفها القوّة العظمى الوحيدة الباقية، والتي تبحث عن إيديولوجية لمحاربتها؛ يجب أن تتّجه نحو قيادة حملة صليبية جديدة ضدّ الإسلام»<sup>(2)</sup>، وهو التعبير نفسه الذي استخدمه «بوش الابن» في بداية الحملة الأميركية الجديدة على العالم الإسلامي، والتي بدأت بأفغانستان<sup>(3)</sup> والعراق.. يتخلّل ذلك الاستعداد لغزو كلّ من سوريا وإيران... وكلّها من الدول (الإسلامية).

وهكذا، وجد العالم المتقدّم من جديد في العالم الإسلامي، البديل العدواني للاتّحاد السوفيتي، وبدأت الخرافة القديمة بالانبثاق والظهور، وأخذت عمليات النسخ الخرافي تلفّ الإسلام لتظهره على أنّه «الآخر»، وكذلك «الوجه المناقض للتقدّم والإرث المعادي لمسيرة الحضارة».

ويعدّد فريد هاليداي<sup>(4)</sup> التّهم التي يوجّهها المسلمون إلى الغرب؛ مُظهرًا الأسباب الكامنة وراء هذا العدا، ولعلّ أوّل هذه الأسباب:  
- أنّ الغرب سبق له أن هيمن على العالم الإسلامي سواء بصورة رسمية

(1) حجازي، أكرم: «بين توّتر الذات وصمم الآخر ثمة محاولات للعقلنة»، ورقة قدّمت إلى ندوة حوار الثقافات التي عقدها كليّة الآداب في جامعة تعز-اليمن، الموسم الثقافي السنوي، 2004/6/3-5/23

www.alnadwa.net

(2) هيكل، محمّد حسنين: حرب الخليج.. أوهام القوّة والنصر، ط1، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة، 1412هـ.ق/1992م، الفصل العاشر كلّ، عنوان «قوّة تبحث عن هدف»، ص215.

(3) انظر: حجازي، «بين توّتر الذات...»، م.س.

(4) فريد هاليداي (1946-2010) كاتب وأكاديمي إيرلندي، خبير في العلاقات الدولية والشرق الأوسط، عمل أستاذًا لمادّة العلاقات الدولية في كليّة لندن للعلوم الاقتصادية.

من خلال الاستعمار أم بصورة غير رسمية. وفي غير حالات الهيمنة والسيطرة المباشرة، فهو يتدخل لغير مصلحة الشعوب الإسلامية والعربية، كما حدث في الخليج وشمال العراق والجزائر.

- أن الغرب يحاول تقسيم العالم الإسلامي. ولعله من أهم أسباب العداء! - ازدواجية المعايير الخاصة بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان، فيما يتعلق بالسلوك الإسرائيلي إزاء الشعب الفلسطيني، والذي يمثل خرقاً فاضحاً لكل قيم حقوق الإنسان ومعاييرها.

وعلى أي حال، فإنّ الجدل المتجدد حول العلاقة بين الإسلام والغرب اكتسب أخيراً أبعاداً أشمل وأعمق مع ظهور جماعات التطرف التي تسبب نفسها إلى الإسلام، وعلى رأسها تنظيم الدولة الإسلامية الذي وصفته مسؤولة العلاقات الخارجية للاتحاد الأوروبي فرديريكا موغريني بأنه أسوأ عدو للإسلام في العالم اليوم، وضحاياهم من المسلمين، وأنّ الدين الإسلامي بات ضحية لهذه الجماعات الإرهابية<sup>(1)</sup>.

### ج. الغرب والخطاب التنصيري:

غالبًا ما يُصنغ الخطاب الغربيّ بصيغة تنصيرية سافرة في محاولة لتدمير الإسلام! وهذا واضح بجلاء في المقولة الشهيرة للسيد «شاتليه»<sup>(2)</sup>؛ إذ يقول: «لا شكّ أنّ إرساليّات التبشير تعجز عن نزع العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتمّ ذلك بيثّ الأفكار التي تتسرّب مع اللغات الأوروبيّة، لتمهّد السبيل -في بداية الأمر- للوصول

(1) انظر: شلبي، أمين: العداء بين الإسلام والغرب عنوان ميسّط لفرضيّة معقّدة، صحيفة الحياة، السبت، 15 أغسطس/ آب 2015م.

(2) ألفرد لوشاتلييه (1855 - 1929 م) هو مستشرق فرنسي، أول من أشرف على «مجلة العالم الإسلامي» la Revue du monde musulman هو أستاذ المسائل الاجتماعية الإسلامية، وممن يكتبون فيها المسيو لويز ماسنيون المستشرق الذي أقام في بغداد سنين عديدة، وقد كان في مصر منذ سنتين؛ ويكتب فيها كثير من العلماء الذين لهم اطلاع على اللغة العربية والعلوم والعادات الإسلامية واللغات الأخرى التي يتكلّم بها المسلمون.



إلى إسلام مادّي<sup>(1)</sup>. وهذه هي أول مراحل العملية التدميرية للإسلام، وهي استخدام التنصير وسيلة لتفريغ الإسلام من مضمونه؛ بحيث يصبح إسلاماً مادّياً في رأي شاتلييه، خالياً من الروح. وبعد أن يصل الإسلام إلى هذه المرحلة المادّية، تأتي المرحلة التالية في خطة شاتلييه، فيقول: «سوف يمضي غير وقت قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الغربية، ولا ينبغي أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامي، أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخرى؛ إذ هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية؛ لأنّ الضعف التدريجي في العقيدة الإسلامية وما يتبعه من الانتقاص والاضمحلال الملازم له؛ سوف يُفضي بعد انتشاره في كلّ الجهات إلى انحلال الروح الدينيّة من أساسها»<sup>(2)</sup>، وهكذا ينتهي الشقّ الثاني من الخطة المقدّسة بتدمير الجانب الروحيّ في الإسلام.

ولا ننسى أبداً الدور العظيم الذي يقوم به مجلس الكنائس العالميّ - وهو ربّما أعلى سلطة مسؤولة عن التنصير، إذ يحشد الآلاف من المربيّات من أجل التنصير، كما يقول رئيس إرساليّة التنصير في الشرق الأوسط:- «إنّ مجلس الكنائس العالميّ أرسل الآلاف من المربيّات والخدمات والممرّضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين»<sup>(3)</sup>.

#### د. العدو الاستراتيجي:

في أعقاب حرب الخليج الثانية اجتمع قادة حلف شمال الأطلسي وناقشوا أوضاع ما بعد الحرب وزوال الحرب الباردة، وأصدروا بياناً

(1) سبع، توفيق محمّد: قيم حضاريّة في القرآن الكريم - عالم صنعه القرآن، القاهرة، دار المنار، لا.ت، ج2، ص255.

(2) سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، م.س، ص255.

(3) سمايلوفيتش، أحمد: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، 1418هـ/ق/ 1998م، ص135؛ العودة، سلمان بن فهد: «وسائل التنصير»، موقع العودة - الإسلام اليوم.

يتحدّث صراحة بالنصّ عن كون الأصوليّة الإسلاميّة هي العدوّ الاستراتيجيّ القادم للحلف وبالتالي للحضارة الغربيّة. ويذهب بعض الكتاب إلى توصيف الحالة القائمة بغياب فعليّ لأيّ صراع بين الحضارات سواء أكانت إسلاميّة أم غير إسلاميّة، ولا سيّما أنّ الحضارة الغربيّة هي الحضارة الوحيدة السائدة في العالم. ولكن في واقع الأمر إنّ أحد الطرفين المعنيّين بالصراع تستحوذ عليه رؤى دفيئة كافية لاستنبات بذور الصراع وإثارة الشكوك والفرع والتحريض ضدّ الإسلام. فبالنسبة إلى المفكرين الغربيّين كبرنارد لويس<sup>(1)</sup>، فإنّه يحذّر من بعث جديد للحضارة الإسلاميّة على ضعفها، حيث يقول: «ظلّ الإسلام لقرون طويلة أعظم حضارة على وجه الأرض وأغنى حضارة، وأقواها، وأكثرها إبداعاً في كلّ حقل ذي بال من حقول الجهد البشريّ؛ عسكريها، أساتذتها وتجارها (...) كانوا يتقدّمون في موقع أماميّ في آسيا وأفريقيا وأوروبا، ليحملوا ما رأوه من الحضارة والدين للكفّار البرابرة الذين كانوا يعيشون خارج حدود العالم الإسلاميّ (...) ثمّ تغيّر كلّ شيء؛ فالمسلمون بدلاً من أن يغزوا الدول المسيحيّة وسيطروا عليها، صاروا هم الذين تغزّوهم القوى المسيحيّة (...) وتسيطر عليهم مشاعر الإحباط والغضب لما عدّوه مخالفاً للقانون الطبيعيّ والشرعيّ»<sup>(2)</sup>.

(1) ولد برنارد لويس في لندن عام 1916م، وهو مستشرق بريطاني الأصل، يهوديّ الديانة، صهيونيّ الانتماء، أمريكي الجنسية. ومؤرّخ مختصّ في الدراسات الشرقيّة الإفريقيّة بلندن. يعتبر صاحب أخطر مخطّط طرح في القرن العشرين لتفتيت الشرق الأوسط إلى أكثر من ثلاثين دولة إثنيّة ومذهبيّة. كما كان حسب ما نشرته صحيفة «وول ستريت جورنال» منظرًا لسياسة التداخل الأمريكيّة في المنطقة العربيّة أثناء إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش وحربه المزعومة ضدّ الإرهاب. وبحكم علاقته القريبة من الإدارة الأمريكيّة السابقة، فإنّ مخطّطه هذا يراه محللون من السياسات المستقبلية التي تنتهجها الولايات المتّحدة في تعاملها مع قضايا الشرق الأوسط، وهو كذلك يعتبر جزءاً من خريطة «الشرق الأوسط الجديد» التي لوّحت بها علناً وزيرة الخارجية الأمريكيّة السابقة كونداليزا رايس خلال العدوان الصهيونيّ على لبنان عام 2006م. كما يظهر ذلك أيضاً في تعامل الإدارة الأمريكيّة الحاليّة مع ما أطلق عليه «ثورات الربيع العربي». (الغووين، فيصل: «برنارد لويس والرؤية الأمريكيّة الجديدة للشرق الأوسط»، موقع السوسنة، 2015/05/08م؛

هـ. الذعر الأوروبي من تنامي «الهوية الإسلامية»:

خلص الكاتب والمحلل كريستوفر كالدويل<sup>(1)</sup>، في كتابه عن قضايا الهجرة والإسلام في أوروبا<sup>(2)</sup>، إلى أنّ مشكلة أوروبا الأساسية مع الإسلام بخاصّة، ومع قضية الهجرة بعامة، تكمن في أنّ الجاليات المسلمة -وهي أقوى التجمّعات تماسكاً في أوروبا هي- ليست أوروبية على الإطلاق على المستوى الثقافيّ. وبينما يعترف كالدويل بأنّ الإسلام «دين عظيم»، وأنّه أنتج في فترات تاريخيّة مختلفة ثقافة مزدهرة ومنفتحة، فإنّه «ليس بأيّ حال من الأحوال دين أوروبا، وليست ثقافته، بأيّ شكل من الأشكال، ثقافة أوروبا».

ولا تشكّل التعبيرات القويّة عن الهوية الإسلاميّة البعد الوحيد للمشكلة، فهي تتزامن مع مرور المجتمعات الأوروبية بأزمة حقيقيّة في الهوية، وفي تحديد «القيم الأوروبيّة» التي يريد المجتمع أن يدافع عنها في مواجهة القيم الإسلاميّة. ويربط بعض المحلّلين هذه الأزمة<sup>(3)</sup> بعجز المشروع الأوروبي عن أن يقدّم هويّة بديلة للهويّات القوميّة التي عمل على إضعافها. فقد ثبت، حسب هذه التحليلات، فشل فكرة التعدديّة الثقافيّة، وهويّات «ما بعد الحداثة»؛ أي تجاوز الانتماءات الإثنيّة والقوميّة التي كانت سبباً في اندلاع صراعات عنيفة في أوروبا في النصف الأوّل من القرن العشرين<sup>(4)</sup>.

2. أحداث 11 سبتمبر وتأجيج صراع الحضارات:

مع أحداث 11 سبتمبر 2001م وما بعدها تجددت الجدالات حول العلاقة

(1) محرّر ب «ويكلي ستاندرد»، ومؤلف كتاب «خواطر حول الثورة في أوروبا: الهجرة والإسلام والغرب».

(2) ChristoPher Caldwell. Reflections on the Revolution in EuroPe. Immigration. Islam and the West. The United States. Doubleday. 2009.

(3) Michael Radu.The Islamist Ghost Haunting EuroPe www.fPri.org/enotes/201004.radu.islamistghost.html. APriL 2010.

(4) انظر: أبو الخير، كارن: «ملاح الجدال الأوروبي حول الهجرة والإسلام»، موقع الأهرام الرقمي: www.digital.ahram.org.eg

بين الحضارات بقوة وزخم، وتمّ استدعاء مقولات هانتجتون وأنصاره، والمقولات المضادة له. ولكن كان السياق أكثر تدهورًا مما كان عليه في بداية التسعينيات؛ حيث أضحى الطرف الإسلامي في موقف المتهم بعد أن كان في موضع مصدر التهديد المحتمل.

ولقد أدت هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001م ضدّ مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية البنّاجون في واشنطن إلى تعزيز أصوات أولئك الأشخاص في الغرب الذين سبق أن تحدّثوا عن الحرب المقدّسة الأصولية التي تمّ تصديرها إلى الولايات المتّحدة الأمريكية. وأدّت المخاوف من الإسلام المتطرّف والتهديد المستمرّ النابع من الإرهاب العالمي بالكثيرين إلى التحذير من مغبة صراع الحضارات على منوال مواقف الغرب المتكرّرة تجاه الشيوعية في فترة الحرب الباردة؛ وذلك من خلال تصوّر تهديد عالمي جديد. وجنح العديد من الحكومات والمحلّلين الإعلاميين والسياسيين إلى استنتاج وجود تهديد إسلامي عالمي يظنّون أنّه يكتنّ عداءً متّصلاً ضدّ الغرب. واستغلّ بعض الحكام العرب والمسلمين، بالإضافة إلى حكّام دول؛ مثل: الهند والفلبين، والكيان الصهيوني، خطر التطرّف الإسلامي ذريعة للحصول على المساعدات الخارجية الأمريكية والأوروبية والتنصّل من الاعتراف بفشل حكوماتهم، كما لجأوا إلى القمع العشوائي لحركات المعارضة التي تمثّل التيار الرئيس بالإضافة إلى المتطرّفين<sup>(1)</sup>.

واستمرّ الجدل نفسه وانقسام الاتجاهات حول وزن الأبعاد الثقافية الحضارية بالمقارنة مع غيرها، ولكنّه اقترن في هذه المرّة بسياق زمني ومكانيّ محدّد يرتبط بالسياسة الأمريكية العالمية تجاه عالم الإسلام والمسلمين بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م؛ فعلى الرغم من تزايد الاعتراف بوضوح المفردات الثقافية والحضارية في الخطابات الأمريكية

(1) انظر: اسبوزيتو، جون: «الإسلام والغرب عقب 11 سبتمبر حوار أم صراع حضاري؟»، صحيفة 26 سبتمبر:

الرسمية وغير الرسمية - سواء الصدامية منها أو الحوارية - ظلّ هناك اتجاه يرفض التفسير الثقافي للعالم على اعتبار أنّه لن يقود إلى حلّ المشاكل؛ نظراً لصعوبة تنازل الثقافات عن ثوابتها، ومن ثمّ لا سبيل إلاّ إلى الحوار بعد توافر شروطه، وفي المقابل اعترف اتجاه آخر بأنّ المرحلة الراهنة من السياسة الأمريكية تكشف بوضوح عن صراع حضاريّ تجاه الإسلام والمسلمين، يصبح معه الحديث عن الحوار من قبيل الاستسلام؛ لأنّ الحوار الذي سيدور سيكون بشروط الغرب، ووفق مدركاته، ونحو غاياته؛ ألا وهو «الإسلام المعدّل»، ولأنّ السياسة الأمريكية توظف الأبعاد الثقافية لخدمة أغراض سياسية بالدرجة الأولى، في حين رأى اتجاه ثالث أنّ الحوار أو الصراع الفكريّ ليس إلاّ أداة أو نوعاً من التكتيك لإدارة مرحلة الأزمة التي تحدث فيها الصراعات على المصالح، وارتبط بهذا الانقسام انقسام آخر جدّد ما سبق وثار حول أطروحات هانتجتون، ألا وهو الانقسام حول إمكانيّات الحوار في مقابل الضغوط نحو الصراع في العلاقات بين الولايات المتّحدة وعالم الإسلام والمسلمين.

## ثانياً: الإسلام وحوار الحضارات:

لقد راجت مصطلحات (حوار الحضارات) و(لقاء الحضارات) و(وحدة الحضارات) و(التقارب بين الأديان) بشكل كبير في العقود الأخيرة، لكنّها جميعاً من إنضاج الفكر الغربيّ الذي يفرض كلّ مرّة وكلّ حين من الأفكار والشعارات ما يناسب وضعه الاستراتيجيّ والأيدولوجيّ في إطار الحضارة الغربيّة التي تجد نفسها دوماً في تنافس وعداوة مع حضارات أخرى شرقيّة بالخصوص وإسلامية على وجه خاصّ.

### 1. تأصيل مفهومي الحوار والحضارة:

يشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتثقّف والتعامل الإيجابي بين الحضارات التي تعتنى به، وهو فعل ثقافيّ رفيع يؤمن بالحقّ

في الاختلاف، إن لم يكن بواجب الاختلاف، ويكرّس التعددية، ويؤمن بالمساواة. ويربط الباحثون، أحياناً، الحوار بالحضارات، ويلحقونه حيناً آخر، بالثقافات؛ أسوة بالتصنيف الكلاسيكي، الذي يجعل من الحضارة تجسيداً وبلورة للثقافة. فالثقافة عبارة عن عادات وتقاليد ومعتقدات المجموعات البشرية التي تمتاز بسمات مستقرة، كما أنّها بمعنى آخر مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ضرورات وجوده الطبيعي بما تحمله من عادات ومعتقدات وآداب وأعياد<sup>(1)</sup>.

وأما الحضارة، فكثيراً ما تعرّف بكونها التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف؛ وهي بالتالي تنزع إلى العمومية؛ خلافاً للثقافة التي تنزع إلى الخصوصية، كما أنّنا نعني بها -أي الحضارة- «ذلك الطور الأرقى في سلّم تقدّم الإنسان»<sup>(2)</sup>.

ومن الخطأ، تصوّر أنّ دعوة «حوار الحضارات» هي البديل أو النقيض أو مجرد الردّ على دعوة «صدام الحضارات» التي فجّرها عالم السياسة الأمريكيّ «صموئيل هنتجتون»، في دراسة بعنوان «صدام الحضارات» نشرت في المجلة الأمريكيّة (Foreign Affairs صيف 1993م) لسببين رئيسين:

أولهما: أنّه على الرغم من محاولة مفكرين ومؤسساتٍ سياسيّة وإعلاميّة غربيّة وضع الإسلام والحضارة الإسلاميّة عدوّاً للحضارة الغربيّة أو العدوّ البديل للشيوعيّة على نحو ما كتب المستشرق المعروف «برنارد لويس» عن حتميّة الصراع بين الإسلام والغرب في مجلة (The Atlantic Monthly سبتمبر 1990م)، فقد ثبت أنّ الصراع الذي تفجّر في العالم عقب انتهاء الحرب الباردة وسقوط النظام الدوليّ ثنائي القطبيّة لم يكن صراعاً بين حضارات في مجمله، ولم يكن صراعاً بين الإسلام والحضارة الغربيّة بصفة خاصّة، ولكنّه كان في الأغلب صراعاً بين دعوتيّ العالميّة (Universalism) والإقليميّة

(1) انظر: ياقوت، محمّد: «الحضارات -صراع أم حوار؟ أحاديّة أم تعددية؟»، على موقع الشبكة الدعويّة: www.daawa-info.net

(2) عمارة، محمّد: التراث والمستقبل، ط2، القاهرة، دار الرشد، 1418هـ/ق/1997م، ص215.

(Regionalism) في محاولة لضبط أنماط العلاقات والتفاعلات في النظام العالمي مع شيوع دعوة العولمة (Globalism)؛ بوصفها واحدة من أهم معالم النظام العالمي الجديد وأساسه، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الصراعات العرقية والطائفية التي استهدفت وحدة «الدولة القومية». وبشكل عام كانت الدولة القومية في النوعين المذكورين من الصراعات هي المستهدف<sup>(1)</sup>.

وثاني هذه الأسباب أن دعوة حوار الحضارات تعدّ أفضل الطرق لمواجهة غلوّ ظاهرة العولمة؛ بوصفها إيديولوجية (Globalism)، وكي لا تتحوّل آليات التفاعل بين الثقافات والحضارات من عمليات التثاقف المتبادل (L'accluration) إلى عملية إحلال ثقافة بينية واحدة (L'Inter-culturation) فوق أطلال الثقافات الأخرى التقليدية القديمة والحديثة، دون تجاهل أو تقليل من شأن العولمة؛ بوصفها عملية.

وقد اتخذ الحوار بين الحضارات أهميته بعد الحرب العالمية الثانية، تحت رعاية اليونسكو وبعض المنظمات الدولية والإقليمية. وتأثر هذا الحوار في الفترة الممتدة بين عامي 1949 و1989م بالمناخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الذي كان سائداً في الخمسين عاماً الماضية، وكان حواراً في نظام دولي ثنائي القطبية بكل ما يتضمّنه ذلك من معانٍ<sup>(2)</sup>! أمّا بعد الأحداث الهائلة التي تسارعت منذ عام 1989م وحتى ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، فقد تغيرت ظروف الحوار بين الحضارات وتطبيقاته بصورة جذرية! حيث «تموضعت العلاقات الدولية في حيز من النظام الدولي الجديد المتميز بأحادية قطبية تُهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية مقابل أحادية قطبية مهيم عليها وممثلة بالعالم الإسلامي والعربي منه تحديداً»<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: ياقوت، «الحضارات - صراع أم حوار؟ أحادية أم تعددية؟»، م.س.

(2) انظر: السيد ياسين: «حوار الحضارات في عالم متغيّر»، ضمن أعمال المؤتمر الدولي «صراع الحضارات أم حوار الثقافات»، القاهرة، مطبوعات التضامن، 1997م، ص37.

(3) حجازي، «بين توّثر الذات...»، م.س.

ويستنتج من ذلك وجود صراع حقيقي بين هذين القطبين، وإن كان قائماً فعلاً، وهنا يأتي دور الفكر الحواريّ الحضاريّ لإنقاذ تلك الأزمة القائمة.

ويأتي حوار الحضارات، وفق هذه التطوّرات، ضرورة لترشيد عمليّة العولمة، وبالذات في بعدها الثقافيّ. ولكنّ التحديّ الأكبر يكمن في معالجة الإشكاليّة الآتية: هل العالم مستعدّ، وبالذات العالم الغربيّ والحضارة الغربيّة، لمثل هذا النوع من الحوار والتفاعل والتثاقف المتبادل؟ ولمعالجة هذه الإشكاليّة، لا بدّ من تحليل الوضعيّة أو الحالة الراهنة للنظام العالميّ وخصوصيّته، وهل هذه الحالة تفرض عولمة الثقافة؛ بمعنى هيمنة الثقافة والحضارة الغربيّة في ظلّ سيطرة الغرب والولايات المتّحدة الأمريكيّة على أهمّ عمليّات العولمة وآليّاتها أم أنّ هناك فرصاً للتثاقف المتبادل والحوار؟ وبمعنى آخر إذا لم يكن هناك مفرّ في ظلّ عمليّة العولمة من حدوث «عولمة ثقافيّة»، فهل النظام العالميّ سوف يفرض أنموذجاً ثقافياً واحداً هو الثقافة الغربيّة في ظلّ الهيمنة السياسيّة والاقتصاديّة للغرب أم أنّه يمكن أن يسمح بوجود ثقافة عالميّة تجمع كلّ مزايا الحضارات والفكر الإنسانيّ.

من هنا نجد أنّ الإسلام يحضّ على الحوار والتفاهم والتعارف والتعايش السلميّ؛ ذلك أنّ الدين الحقّ لا يقوم إلاّ على الاقتناع والاقتناع، ولا يوجد إيمان بحدّ السيف؛ فالإيمان لغة هو التصديق<sup>(1)</sup> وآيات القرآن عديدة في هذا المجال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(2)</sup>، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(3)</sup>، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(4)</sup>. ولأنّ البشريّة

(1) انظر: الرازي، محمّد بن أبي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، ط4، بيروت؛ صيدا، المكتبة العصريّة، 1998م، ص22.

(2) سورة النحل، الآية 125.

(3) سورة البقرة، الآية 256.

(4) سورة يونس، الآية 99.



تنقسم إلى شعوب وقبائل، فإن الدعوة تكون: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (1). وعندما تتمايز الأمم؛ فإن الهدف الأسمى هو التعايش والتعارف وعدم استعلاء طائفة على أخرى، ولا أمة على أمة، ثم يكون الأكرم عند الله هو الأكثر تقوى، والحساب النهائي عند الله وليس على هذه الأرض الفانية. وحتى الخلاف العقديّ متروك لله - عزّ وجلّ - كي يحكم فيه يوم القيامة: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (2).

إذن، من وجهة النظر الإسلاميّة الخالصة، لا توجد أيّ مشكلة على الأرض؛ بسبب الخلاف في الرأي أو العقيدة أو اللون أو العرق أو القوميّة، بل إنّ الاسلام يدعو إلى مباراة سلميّة في إعمار الأرض والتخليفة بين الإنسان واختياراته العقديّة (3).

## 2. أنواع الحوار بين الحضارات/ الأديان:

من خلال التتبّع لأحوال الحوارات المتعدّدة بين الأديان تبين أنّها على أنواع مختلفة، ولكلّ نوع خصائصه المحدّدة له والمميّزة له عن غيره، مع أنّ جميع الأنواع يصحّ إطلاق اسم «الحوار بين الأديان» عليها (4).

### أ. حوار الدعوة والبلاغ:

- المسألة الأولى: المراد به في الدين الإسلامي:

وهو الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى من أجل دعوتهم إلى الدين الإسلاميّ الخاتم والناسخ لجميع الأديان السابقة، وإيضاح محاسن

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) سورة آل عمران، الآية 55.

(3) انظر: حسين، مجدي أحمد: «حوار الحضارات بين الحقيقة والخداع، موقع الإسلام اليوم»، 14 أغسطس 2015م:

www.islamtoday.net

(4) انظر: السلمي، عبد الرحيم بن صمايل: «الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه)»، موقع الدرر السنيّة:

www.dorar.net

الإسلام لهم، وبيان ما هم عليه من باطل، واستنقاذهم من ظلمات الشرك والجهل؛ وهذا الهدف من أعظم ما يدعو إليه الإسلام؛ وهو مطلوب شرعاً وعقلاً. (1) قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (2).

- المراد به في العالم الغربي:

أما الحوار التبشيري عند النصارى الذي تمارسه الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي وغيرها، فهو اتخذ الحوار وسيلة للتصير، وذريعة لتشكيك المسلمين في دينهم ونبئهم، وطريقاً مخادعاً لأخذ الشهادة والإقرار والموافقة بصحة دينهم، وأنه دين معتبر حتى بعد دخول التحريف فيه.

ب. حوار التعايش وحكمه:

والمقصود بحوار التعايش هو: الحوار الذي يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، وربما أقليات دينية، ويعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجرين، واللاجئين ونحو ذلك. ومن أمثلة هذا اللون من الحوار: (الحوار العربي الأوروبي)، و(حوار الشمال والجنوب). وقد يسمي البعض هذا النوع (التسامح)؛ وهذا التعريف هو معنى التعايش بالمفهوم العام، الذي يؤخذ من دلالة الكلمة من دون ارتباط بالمفاهيم اللاحقة.

ج. حوار التقارب: لا يمكن قصر هذا النوع من الحوار على مدلول اصطلاحى بعينه. فلفظ التقارب والتقريب مأخوذ من القرب؛ وهو أمر نسبي تتفاوت حقيقته وتطبيقه. وهو أوسع أنواع الحوار بين الأديان، فهو يتدرج من أدنى المجاملات الشكلية إلى درجة الاندماج الكاملة والوحدة

(1) انظر: السامرائي، هيفاء أحمد: الحوار العربي الأوروبي، العراق، دار الرشيد، 1982م، ص5-9.

(2) سورة آل عمران، الآية 6.

التامة. وهو الأشهر بين كل أنواع الحوار بين الأديان، وتُعد له المؤتمرات المتعددة.

## حوار إيران مع الغرب.. إشكالية المصالح الوطنية:

بعد 12 عامًا من التفاوض، جاء اعتراف القوى الكبرى بوجوب التعامل مع إيران؛ بوصفها رقمًا رئيسًا في معادلات المنطقة والعالم، سواء من الناحية الجيوستراتيجية، أو احتمالية إدماج الجمهورية الإسلامية في تكتلات الكبار؛ مثل دول البريكس، أو الاتحاد الأوراسي، حيث فرضت إيران نفسها قوة عالمية شرعية بعد معركة دبلوماسية باردة وطويلة، تكلت باتفاق لوزان، والتوقيع النهائي للاتفاق النووي في 14 يوليو 2015<sup>(1)</sup>. وقد جعل الإعلان عن إنجاز الاتفاق النووي الأجواء الإسرائيلية تشتعل، حيث لاقى هجومًا من السياسيين الإسرائيليين، معتبرين أنه اتفاق سيئ ويمهد الطريق أمام إيران لامتلاك قنبلة نووية بعد عشر سنوات<sup>(2)</sup>.

فقد نجح أسلوب الحوار السلمي الإيراني في الاستفادة من هذه المفاوضات والاتفاق الذي ترتب عليها، وذلك على النحو التالي:

- الحصول على اعتراف دولي واضح بمشروعية البرنامج النووي الإيراني بالرغم من سابق التحفظات التي واجهها هذا البرنامج من قبل الولايات المتحدة والغرب، بحيث أصبحت المفاوضات بعيدة تمامًا عن تجميد عناصر البرنامج النووي ووقف أنشطته، وصولاً إلى التفاوض بشأن الضمانات الخاصة بعدم انحراف البرنامج الإيراني، والاعتراف بسلميته، فضلاً عن تجاوز نقاط خلافية رئيسة مرتبطة بالسماح بالتخصيب على الأراضي الإيرانية؛ فيما كان هذا الأمر مرفوضاً بشكل مطلق من قبل

(1) انظر: الاتفاق النووي الإيراني (ملف خاص)، موقع البديل:

www.elbadil.com

(2) انظر: محمود، هدير: «الاتفاق النووي.. الدبلوماسية الإيرانية تتصير وإسرائيل تشتعل»، موقع البديل،

الثلاثاء 14 يوليو 2015م:

الغرب، بل والحصول على مساعدات ذات طبيعة تقنية من الوكالة الدولية للطاقة الذرية سوف تساهم حتماً في تطوّر هذا البرنامج مستقبلاً.

-تحقيق مكاسب على الصعيد الاقتصادي من خلال الاتفاق على كسر حدة العقوبات الدولية المفروضة على إيران منذ أمد، ولو بشكل تدريجي، ولكن متسارع ومرتبط بالوفاء بالالتزامات المتفق عليها، مع وجود فرصة للمساومة من خلال ربط الالتزامات الإيرانية بالمدى الزمني لرفع العقوبات؛ الأمر الذي يعطي الفرصة للنظام الإيراني للتحرر من الضغوط المفروضة عليه داخلياً.

-ظهور تماسك النظام في إيران وتوحيده حول الوفد الممثل له في المفاوضات النووية بالرغم من جدية الخلافات بين المحافظين المدعومين من الحرس الثوري وبين التيار الإصلاحية، والتي لم تمنع من منح المرشد الأعلى «علي خامنئي» الضوء الأخضر للاستمرار في المفاوضات، ما أعطى المفاوض الإيراني مجالاً أوسع من الحركة والقدرة على المناورة أثناء المفاوضات<sup>(1)</sup>.

وقد اعتبر بعض المحللين الكبار هذا الاتفاق بأنه «زلزال جيوسياسي»، وانقلاب في الواقع «الجيواستراتيجي» من آسيا الوسطى حتى ضفاف المتوسط، مروراً بدول الخليج؛ إذ أصبح من الصعب على أي قوة في المنطقة تجاهل إيران النووية، أو الاستمرار في الاستناد إلى عدائها مع الولايات المتحدة لمواجهتها على مختلف الجبهات الإقليمية من أفغانستان، إلى العراق، إلى سوريا، إلى لبنان، إلى أمن الطاقة ومساراتها، وحتى إلى منظومة الأمن الإقليمي للشرق الأوسط. وأصبح صعباً على الكيان الصهيوني ادعاء خطر البرنامج النووي الإيراني لمهاجمتها عسكرياً، من دون أن يصبح ذلك عدواناً على برنامج مدني مشرّع دولياً. والأهم أن الاتفاق بلور محاور جديدة في المنطقة، قوامها بروز محور

(1) سالم، «اتفاق الإطار النووي»، م.س.

المقاومة (من لبنان إلى إيران)؛ بوصفه نواة صلبة يصعب تجاوزها في أي ترتيبات سياسية مقبلة، والتحالف الإيراني الروسي القوي، وخصوصاً أنّ الروسي يرضى للمرة الثانية بعد الكيميائي السوري، سحب صواعق التفجير، والحروب الإقليمية، برعايته مع الأميركيين، تسهيل الاتفاق وتعطيل الجزء العسكري من البرنامج النووي الإيراني<sup>(1)</sup>.

### 3. الإسلام ورؤيته للحوار بين الحضارات:

#### أ. منظور الإسلام للحوار:

إنّ الإسلام مع دعوته للحوار وأمره به؛ إذ هو سنة الأنبياء والمرسلين ﷺ، هو يناهز الآخر المختلف إلى أن ينظر بعين الحيادية والتجرد من الهوى إلى تعاليم الإسلام ونصوصه الصريحة في الأمر والدعوة إلى الحوار والتفاعل الثقافي بين الشعوب والحضارات. وهذا ما أقرّ به الآخرون من أمثال: «شبرل»؛ عميد كلية الحقوق بجامعة «فيينا»، حيث قال في مؤتمر الحقوق سنة 1927م: «إنّ البشريّة لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) إليها، إذ رغم أمميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»<sup>(2)</sup>.

إنّ الإسلام هو دين الحوار والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك؛ بما يساعد على العيش بسلام وأمن وطمأنينة، ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر. ولهذا، أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة،

(1) انظر: عيد، رضا: «الاتفاق النووي الإيراني مع الدول الست وانعكاساته الإقليمية»، موقع تحولات، 2015/12/17م؛

www.tahawolat.net

(2) علوان، عبد الله ناصح: معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، ط2، القاهرة، دار السلام، 1404هـ/ق. 1984م، ص155.

والطرق السليمة في مخاطبة الآخر. قال -تعالى-: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (1).

وقد أرسى القرآن الكريم قواعد الحوار في الإسلام، على أساس الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وفق منهج حضاري متكامل؛ بهدف ترسيخ مبادئ الحوار بين الشعوب والأمم.

وتجدر الإشارة -أيضاً- في سياق الحديث عن حوار الأديان إلى أهميّة الاطلاع على الكتابات المؤمنة بالصراع والمشكّكة في مصداقيّة الحوار وأبعاده؛ ذلك لأنّ معرفة الرأي الآخر ومستنداته وحججه خطوة ضروريّة في تصويب الدعوة إلى الحوار (2).

#### ب. معيقات الحوار مع الغرب:

إنّ الحوار مع الغرب في واقعنا المعاصر صعب وشائك جدّاً على كلّ المستويات وفي جميع المقاييس. وذلك لسببين اثنين رئيسين؛ هما:

- السبب الأوّل: قائم في المسلمين، وهو بُعدهم العمليّ عن الإسلام، وخلافاتهم الشديدة حول كثير من مفاهيمه وأحكامه، ليس في الفروع فقط، وإنما في بعض الأصول كذلك؛ ما يجعل الخطاب الإسلاميّ واهناً

(1) سورة النحل، الآية 125.

(2) من الأعمال التي نحت منحى الاعتراض:

- عبد العزيز، زينب: الفاتيكان والإسلام، ط1، القاهرة، دار القدس، 1416هـ.ق/ 1995م.
- الزين، محمّد فاروق: المسيحيّة والإسلام والاستشراق، ط3، دمشق، دار الفكر، 1424هـ.ق/ 2003م.
- إسماعيل، محمّد الحسيني: الإنسان والدين؛ ولهذا هم يرفضون الحوار...!!، ط1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1424هـ.ق/ 2004م.
- الإبراهيم، موسى إبراهيم: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحقّ والباطل، ط1، الأردن-عمّان، دار الأعلام، 1423هـ.ق/ 2003م.
- شلبي، أحمد: صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلاميّة في هذا الصراع، لا.ط، القاهرة، مكتبة النهضة المصريّة، لا.ت.
- الدهان، محمّد محمّد: قوى الشرّ المتحالفة: الاستشراق، التبشير، الاستعمار، ط2، مصر-المنصورة، دار الوفاء، 1408هـ.ق/ 1988م.
- مقار، شفيق: المسيحيّة والتوراة؛ بحث في الجذور الدينيّة لصراع الشرق الأوسط، ط1، لندن؛ قبرص، رياض الرئيس للكتب والنشر، 1992م.

ضعيفاً مضطرباً ومفتقداً لعنصر الثبات واليقين، والجاذبية التي تمتع بها خلال العصر النبوي.

ولهذا الأمر أسبابه البعيدة، التي لا مجال في هذا البحث الموجز لتحليلها والإسهاب فيها، وإن كان ذلك لا يمنعنا من الإشارة السريعة إليها، والتي يمكن أن نحصرها فيما نجم عن الانحراف المبكر والسريع في أسلوب الحكم الإسلامي، من خلل خطير في المفاهيم، وعجز في الأحكام، وخطأ في التطبيق، واختلاف بين المسلمين شديد، فقدت الأمة معه وحدة الخطاب الإسلامي، ورسالته، وبالتالي بريقه وجاذبيته، فانقضت عرى الإسلام بدءاً من عروة الحكم وصولاً إلى عروة المجتمع، إلى أن اهتزت صورة الفرد المسلم، فتخلف المسلمون، وتخلّوا عن دورهم الريادي، ثم سقطوا في التبعية للغرب، في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والسلوكية، ولم يبقَ من الإسلام لدى المسلمين إلا اسمه، وباتوا مصدر ازدراء للإسلام، مذ أصبحوا سفراء الفاسدين الجاهلين.

-السبب الثاني: قائم في الغرب، وهو أستاذيته الفعلية على صعيد التقدم العلمي والتقني، وهيمنته العملية على أزمة الأمور في العالم سياسياً واقتصادياً، وإمساكه بالخيوط كافة، التي تحرك الدمى الصورية في معظم العالم، إن لم نقل في كل دول العالم ومجتمعاته، بل وأفراده. ومع ذلك، فعلى الرغم من صعوبة الحوار مع الغرب، فإنه لا بديل ولا غنى عن الحوار معه، وبخاصة أن هناك نقاط ضوء تدعو إلى التفاؤل، أشار إليها القرآن الكريم بقوله - سبحانه -: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (1).

(1) سورة آل عمران، الآيات 113-115.

## ثالثاً: صدام الحضارات على ضوء أحداث الربيع العربي:

كان الربيع العربي احتجاجاً مدوّياً ضدّ كلّ شيء؛ ضدّ فساد الشركات الغربية المقرّبة من الأنظمة العربيّة، والتي تستغلّ موارد المنطقة الطبيعيّة لينعم الملوك والحكّام بممالكهم الفارهة، وضدّ الاحتلال الأجنبيّ، وضدّ مشاعر الخزي والعار التي كانت تنهال على كلّ من تسوّل له نفسه الاعتقاد بأنّ لديه الحقّ في المقاومة؛ فالربيع العربيّ كان يتمحور بالكلمة السحريّة «الحرّيّة»، والتي كان لها مدلولات مختلفة لدى مختلف الأشخاص، ولكن على الأقلّ كانت الحرّيّة لدى الجميع تعني التحرّر من الظلم والعبوديّة والاستغلال والفساد والذلّ.

### ١. أثر العامل الخارجي في بروز العنف الجهادي بعد الثورات:

خلال الثورات العربيّة في العالم العربيّ، جاء تدخّل القوى الغربيّة بعد اندلاع الثورات، وقد ظلّت تلك القوى متردّدة في دعم أغلب الثورات العربيّة طيلة فترة اندلاعها. ويرجع ذلك إلى أنّ أغلب الأنظمة العربيّة التي تعرّضت للثورات كانت تحمي مصالح الغرب والكيان الصهيوني بشكل ظاهر وقويّ.

ولكنّ ذلك لا يعني أنّ القوى الأجنبيّة لم يكن لها دور في الثورات؛ ذلك أنّه بمجرد اتّضح الاتّجاه العامّ للتغيير، بدأت القوى الغربيّة في التدخل على ثلاثة مستويات:

- التدخّل العسكري الصريح لإسقاط النظام وتدميره، كما حدث في ليبيا؛ فقد تدخل الأطلنطيّ لإفشال كلّ محاولات التسوية السلميّة للأزمة الليبية التي قام بها الاتّحاد الإفريقي وبقبها القذافي، كما تدخل لحتّ دول مجلس التعاون الخليجيّ والجامعة العربيّة على إصدار قرار الطلب من الأمم المتّحدة إنشاء منطقة حظر جويّ فوق ليبيا لمنع الطيران الحربيّ الليبيّ من ضرب «الثوار»؛ ولكنّه توسّع في عمليّاته ليشمل المشاركة المباشرة في القتال من خلال قوّة بريّة



وجويّة، بل من خلال إلقاء القبض على القذافي وتسليمه لإعدامه. وقد حضرت هيلاري كلينتون شخصياً إلى بنغازي قبل يوم واحد من اغتيال القذافي لتشرف على العملية. وتشمل حالات التدخل العسكري -أيضاً- تدخل وحدات عسكرية من مجلس التعاون الخليجيّ لإنهاء الحركات الاحتجاجية في البحرين.

- التدخل السياسيّ للتأثير في العمليات السياسيةّ الداخلية في دول الربيع العربيّ؛ بما يضمن مصالح القوى الغربية، وتمّ ذلك بدعم التيارات الإسلامية الأكثر اعتدالاً وقرباً من الغرب<sup>(1)</sup>.

كما أنّ السياسة الأمريكية المزدوجة والمنحازة ضدّ الإسلام والمسلمين، والانحياز الأعمى للكيان الصهيونيّ وممارساته ضدّ الفلسطينيين، دفعت هذه الجماعات إلى محاولة الانتقام من الولايات المتّحدة والغرب للإهانة التي يتعرّض لها المسلمون في مناطق شتّى من العالم<sup>(2)</sup>.

## 2. العنف الجهادي-التكفيري عائقاً للحوار بين الإسلام والغرب:

شهدت دول الربيع العربي في مرحلة الانتقال الديمقراطيّ، من المحفّزات ما يجعل العنف حالة مرضية تتغلغل في الأبنية الثقافية والسوسولوجية؛ بيد أنّه لا يمكن وضع تلك الدول في سلّة واحدة، إذ إنّ مع تباين مسارات التغيير، وعوامل الخلل، ودرجاته، اختلفت أشكال العنف؛ فلم تعد الدولة وحدها تحتكر العنف بل ثمة جماعات غامضة أصبحت هي الأخرى مؤسّسات تمارس العنف<sup>(3)</sup>، وهو ما يفتح الباب أمام ردود الأفعال العنيفة؛ بما يؤدّي إلى حالة من الفوضى.

(1) انظر: سليم، محمد السيّد: «الأداء السياسي للتيارات الإسلامية في مصر بعد ثورة 25 يناير»، بحث مقدّم إلى المؤتمر الذي نظمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات؛ بعنوان «الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي في المرحلة الانتقاليّة للثورات العربيّة»، قطر-الدوحة، 6-7 أكتوبر 2012م.

(2) انظر: أحمد، أحمد سيّد: «الجماعات الإسلامية العنيفة في الوطن العربي.. صعود ومواجهات وهزائم ومراجعات، اليوم المصرية»، 2010/07/22م:

www.alyaum.com

(3) انظر: عبيدات، عمر: «العنف المجتمعي.. الجذور والأسباب وآلية الحلّ»، موقع عمون، 19/5/2010م:

www.ammonnews.net

ويضاف إلى ذلك أنّ بعض دول الربيع العربيّ بعد القيام بثوراتها أصبحت تعاني من حالة من الانسداد السياسي، حيث تتّجه غالبية الأنظمة السياسيّة بعد الثورة إلى تهميش غالب القوى السياسيّة، كما تتجاهل المطالب الثوريّة، التي تظلّ عالقة في فضاء المجتمع، والتي تستنفر الجماهير لتطرق سلوكيّات العنف. وكذلك محاولة اختزال بعض النظم السياسيّة الدولة لصالح الجماعة أو الفئة التي ينتمي لها رأس النظام السياسيّ، أو محاولة اختزال الديمقراطية إلى ديمقراطيّة الصندوق المصاب بالعبث أحياناً.

وقد ظنّ الكثير من المحلّلين والمتابعين أنّ الثورات السلميّة العربيّة أثبتت فشل الفكر الجهاديّ، حيث استطاعت أن تحقّق في وقت وجيز ما فشلت فيه التيّارات الجهاديّة على مدار ثلاثين عاماً، إذ نجحت هذه الثورات في تغيير بعض الأنظمة العربيّة، ولكن، وبعد فترة زمنيّة قصيرة من اندلاع الثورات العربيّة والإطاحة بالأنظمة الموجودة، وقيام أنظمة جديدة من نتاج الثورات، ثبت أنّ الاعتقاد السابق ليس صحيحاً، حيث تبين أنّ هذه الثورات هي بداية لموجة جديدة من الجهاد، ربّما تكون موجة أشدّ ضراوة من الموجات السابقة، حيث فوجئ الجميع بالصعود القويّ للتيّارات الجهاديّة، وأصبحت أكثر قدرة على التأثير بقوة في مجريات الأحداث، وقامت بعملياتٍ عنف كبيرة ومنتوّعة على نحو يفرض واقعاً جديداً لم يكن مألوفاً من قبل.

## خاتمة:

حتّى يمكن الحديث عن حوار حضارات بالمعنى الحقيقيّ، بعيداً عن المصالح السياسيّة لقوى أو لدول معيّنة، وبعيداً كذلك عن الانسياق وراء أطروحاتٍ قد لا تعبّر عن حاجات إنسانيّة حقيقيّة، وحتّى يمكن تأسيس هذا الحوار على قواعد معرفيّة مستقيمة، ينبغي التركيز على القضايا التالية:

- إنَّ مفهوم الحوار في هذا السياق ينصرف إلى المعنى المتعلّق بالتحاور والاختلاف في الأفكار والقيم والمعايير، والأنماط المعرفيّة والمنهجية، وقواعد السلوك والثقافة، وإنَّ هدف هذا الحوار هو الوصول إلى الحقيقة واعتبارها ضالّةً للمتحاورين كافّةً ينبغي البحث والتفتيش عنها والانصياع لها عندما توجد وتُعرف.

- إنَّ التعاون والتعايش والمحاورة بين المختلفين هي وسيلة للجنس البشري لتحقيق الأمن والسلام اللذين يحقّقان العمران، وليس التصارع والتقاتل، ومن ثمّ لا ينبغي النظر إلى «الآخر» على أنّه عدوّ ينبغي قهره، ولكن على أنّه إنسان مكرّم ينبغي التعامل معه بصورة تحقّق حرّيته وكرامته، ولا بدّ أن تخضع للحوار مبادئ الأمم والحضارات التي تتنافى وهذه القواعد، لإدخال التعديلات التي تجعل الحوار ممكناً<sup>(1)</sup>.

- مراجعة الخطابات السياسيّة والثقافيّة العربيّة والإسلاميّة المنغلقة والمتشدّدة التي تولّد سوء الظنّ بين أبناء الحضارات المختلفة، وتوخيّ خطاب مرّن في مواجهة الغرب، والتعلّم من إنجازاته وثقافته، أسوة بما أنجزته بعض الدول: كوريا الجنوبيّة، سنغافورة، اليابان، ماليزيا، الصين، تايوان، إندونيسيا.. وترك خطابات الانعزال خوفاً من غزو الآخر الثقافيّ.

- الاعتراف بأنّ تشجيع خطاب التطرّف من قبل «البعض» هو أمر ضارّ بالمسلمين قبل أن يكون ضارّاً بـ«الآخر»<sup>(2)</sup>.

- الوعي بأنّ فتح الحوار مع الآخر يتطلّب بداية إجراء حوار وتواصل مع الذات من خلال الإيمان بحقّ الاختلاف واحترام الرأي الآخر، وتحسين

(1) انظر: العلواني، طه جابر: «الإسلام والغرب: حوار أم صراع؟ موقع التنوّع الإسلامي»، 30 أبريل 2010م: www.alwihdah.com

(2) انظر: لكريني، إدريس: «الإسلام والغرب ومعوقات الحوار»، معهد الوارف للدراسات الإنسانيّة، 01 مارس 2003م: www.alwaref.org

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في هذه البلدان، بالإضافة إلى رفع خطاب حضاريّ يحمل حدًا أدنى من الاتساق والانسجام.<sup>(1)</sup> ويبقى أمام «حوار الحضارات» في الوقت الراهن؛ بوصفه فكرة وخبرة وممارسة في الدائرة العربية والإسلامية، الكثير من العقبات لتخطيها؛ وذلك للوصول إلى بلورة إطار للحوار من الوجهة العربية والإسلامية، إطار يقوم على القواسم المشتركة الكبرى بين الاتجاهات المختلفة، فتسهم بصورة إيجابية، بوصفها منظومة حضارية واحدة، في الحوار الحضاريّ العالميّ الذي يدور حول مستقبل العالم، بخاصة أن قضية الحوار مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمرجعيتنا الإسلامية وبمدلول الرسالة الإسلامية، وأيضًا مرتبطة برويتنا وتفكيرنا لمسألتنا الحضارية ولمستقبلنا وعلاقتنا بالآخر، وبمقتضيات عصرنا. ولكي يكون الحوار حوارًا إنسانيًا بعيدًا عن خلفيات الهيمنة والاحتواء ويحقق الأهداف المرجوة منه، ينبغي أن يؤسس على منظومة مفاهيمية حضارية إنسانية تُدار من خلالها منهجيّته، ويُلقى على الطرف العربيّ والإسلاميّ العبء الأكبر في ذلك حتىّ نتمكن من مساهرة الحركة التاريخية على مستوى العالم ومتطلبات العصر، وفي الوقت ذاته نتمكن من المحافظة على الذاتية العربية والإسلامية في إطار المنظومة الحضارية الإسلامية<sup>(2)</sup>.

(1) انظر: لكريني، «الإسلام والغرب ومعيقات الحوار»، م.س.

(2) انظر: عاشور، الزهراء: «حوار الحضارات وإشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي والإسلامي المعاصر»،